البنية السردية ودلالاتها في القصة القرآنية –قصة موسى أنموذجا

أ. عائشة رماش

جامعة باجي مختار –عنابة

إن الموضوعات العديدة التي يحتويها القرآن الكريم من قصص وأحكـــام وعقـــائد ...) جعلته لا يبخل على طلابه مهما تعددت منابعهم واختلفت مشاربهم ورغباتهم وحاجـــاتهم، فالأدباء وعلماء النفس يستكشفون من خلاله عالم النفس، وتداعي المعـــاني، وكذا علمـــاء الأخلاق، والتشريع والمفكرون، كل يجد في القرآن ضالته .ويكفي القرآن فضلا كونه أعظم نص وتراث أدبي ولغوي وعلمي، فالقرآن إذن يسع الجميع ما وسعت السماوات والأرض.

ولذلك قررت أن أخوض في موضوع القصص القرآني بتطبيق أحدث المناهج وهو البنوية الشعرية، وقررت أن أسلك هذا المنحى على وعورته في البحث والدراسة، زد على ذلـــك الأهمية التي تكتسيها القصة القرآنية حيث شغلت القسم الأكبر من كتاب الله تعـــالى (مـــا يقارب الربع إن لم يزد عليه) ولا غرو في ذلك؛ إذ القصة القرآنية لم تـــأت لتقـــرر هدفـــا واحدا، بل كانت لها أهدافها العديدة، من تربية للنوع الإنســـاني، وترســـيخ العقيـــدة في النفوس، والسمو بالإنسان، وتقرير الكثير من الحقائق العلمية المتعلقة بـــالكون والإنســـان، والتركيـــز على ما يكفل للهيأة الاجتماعية سعادتهـــا وسلامتها في معاشها ومعادها، عـــدا ما فيها من رونق الأسلوب، وبديع النظم، وجمال الصورة.

OyØ ЖKÆG O Ѿ OyØ к Ă ЖK Ѿ Ѿ Ø r OyЖ e Ѿ OyØ OyЖK к e O ı

"ولقد حدد القرآن الكريم فضاء دلاليا خاصا للفعل قص، وضمن هذا الفضاء الذي تحول إلى معيار قيمة نظمت شؤون القص بوصفه فعالية إخبارية عند العرب ... فهو الخبر المقيد بالدقة والصواب والحق واليقين والاعتبار والتدبر والحسن. هذا هو القص الذي أسس القرآن وجوده في الأدب العربي وأصبح هذا الفضاء الدلالي هو الذي يحدد القيمة الاعتبارية للقص"[1].

فالقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب الفوز والنجاة، وقد اشتمل القصص القرآني على كثير من أخبار البلاد والعباد، وتتبع آثارهم، فحكى صورة ناطقة لما كانوا عليه.

وبهذا فإن القصص القرآني ليس كما زعم بعض المـ أنه عبارة عن خيالات مصطنعة وملفقة مختا سرآن الكريم كما حدثت بالف ها: قصص الأحداث ين.

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و سيجه الديني "بمعنى أن القصة في القرآن ليست عملا ، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، شأن القصة الفنية الحرة. إنما ترد القص ـعران مقيدة بغرض ديني، وترد أساسا للدعوة أو الدعاية لهذا الغرض الديني. ولقد كان المفروض طبقا لهذا التقيد أن تجيء القصص خالية من القيمة الفنية [2]؛ إلا أننا نرى العكس، فالقرآن حين يقوم بعرض قصص الأنبياء نراه" يأخذ مواد القصص من أحداث التاريخ ووقائعه، ولكنه يعرضها عرضا أدبيا، ويسوقها سوقا عاطفيا؛ يبين المعاني، ويؤيد الأغراض، ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعا استهوائيا، يستثير منها العاطفة والوجدان"[3]. وللقصص القرآني بعد هذا كله فوائد وأغراض كثيرة منها،

1-عبد الله إبراهيم، السردية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1 سنة 1992ص 25.
2 -أحمد بهجت، أنبياء الله، دار الشروق بيروت ط11 سنة 1983ص49.
3 - محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،ط3ص122.

العبرة والعظة، إيضاح أسس الدعوة إلى الله وسيرة النبيين وأساليبهم مع أقوامهم، مقارعة أهل الكتاب بالحجة الدامغة، تثبيت فؤاد الرسول(ص) وأمته بعده، وإظهار صدقه في دعوته ورسالته. والقصص القرآني بعد هذا كله أيضا ضرب من ضروب الأدب والبيان الرفيع اتبعه الله سبحانه وتعالى لتبليغ أوامره ونواهيه عن طريق الوحي، فعرض أحداث الماضي المتتالية في قالب سردي رائع يضيء لنا جانبا من حياة الأقوام الأولين وطباعهم وطريقة تعاملهم، في حيز زمكاني يذكر صريحا أو يفهم ضمنيا وأحيانا يكون ذكر المكان منعدما ليترك الفرصة للقارئ كي يتخيل المكان الذي يصبح أية فسحة مكانية من الكون. كل هذا ضمن ترتيب حدثي تحركه شخصيات في جو من الصراعات المتكررة والمختلفة مضفية عليه طبيعة خاصة، فالصراع هو الذي يتحكم في سير الأحداث وهو الذي يتحكم في المنطق السردي القصصي، ثم يأتي الجانب الشكلي اللغوي الذي يتدخل بدوره في تحديد الأسلوب السردي القصصي للأحداث وصراع الشخصيات.

– المنطق السردي في القصص القرآني:

بعد دراستنا لمجموعة من القصص القرآني خرجنا بما يلي:

– أن القرآن لا يتناول القصة من جميع أطرافها وأنه لا يتسلسل في إيراد حدوثها منظمة مرتبة ويتضح من ذلك أن البنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي؛ إذ تتجلى في ضوئها تلك الكفاءة الجوهرية لمتكلم ما، والتي تسمح له بأن يجيب عن سؤال مثل: عم كان الكلام؟ أو ماذا كان هدف هذا الحوار؟ حتى بالنسبة لنصوص طويلة ومعقدة. هذه الكفاءة في استنتاج الموضوعات ووصف أهداف النص أو تقديم ملخصات له هي التي تسهم في كشف أبنيته[4]. فالقرآن يأخذ من القصة ما يحقق غرضه من التهذيب والوعظ والإرشاد.

---

4 – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، صفر 1413 هـ آب 1992 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص260 .

OуЭ ЖКÆЄ О Ѡ OуЭ к Ā ЖЎ Ѡ Э r OуЖe Ѡ OуЭ OуЖЎ к e O

والمتصفح لكتاب الله تعالى يرى أن القصة القرآنية لم تلتزم طريقا واحدا من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل، فهناك القصة المفصلة، كما في قصة موسى –عليه السلام – في سورة الأعراف، وقصة نوح – عليه السلام – في سورة هود. و هناك القصة المجملة كما في قصة نوح –عليه السلام- في سورة الأعراف، وقصة موسى في سورة هود فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى. وهاتان تقنيتان معروفتان في السرد وهما تقنية التلخيص أو الحذف، وتقنية التصوير المفصل."ويلاحظ أن مستوى الزمن والصيغ يتصلان بالعلاقة بين القصة والحكاية، أما الصوت فهو يشير إلى العلاقة بين القص والحكاية والقصة. وتحليل البنية الزمنية على مستويين: أحدهما زمن الشيء المحكي، والثاني زمن القص ذاته، أ[illegible] المدلول وزمن الدال. وهذه الثنائية ليست مسؤولة فحسب عن جم[illegible]لة في القص، حيث لا تستغرق عدة سنوات من[illegible]ل تدعونا إلى التحقق من أن ا[illegible]من الزمن إلى زمن آخ[illegible]"

وا[illegible]صيرة أم طويلة جاءت تفي بالغرض الذي سي[illegible] لا يشعر القارئ بشيء من النقص بل ربما وجدت في القصة القص[illegible] جده في غيرها، ولعل خير مثال على ذلك قصة نوح –عليه السلام- في سورة العنكبوت.

– عند قراءتنا للقصص القرآني تتبادر إلى أذهاننا ملاحظة جديرة بالتسجيل ألا وهي: أن القصة القرآنية تختلف من قصة إلى أخرى فمنها ما لم يذكر إلا مرة واحدة ومنها ما ذكر أكثر من مرة."ومع احتمالات تكرار الأحداث المروية في زمن الحكاية، وتكرار الأقوال القصصية في زمن القص فإنه من الممكن استخلاص أربع إمكانيات بشكل رياضي هكذا: (حدث مكرر أم لا × قول مكرر أم لا)، أي أن القصة يمكن أن تروى مرة واحدة ما حدث

5 –المرجع نفسه ص300.

ذات مرة أو مرات عديدة، ويمكن أن تروي مرات عديدة ما حدث مرة واحدة أو مرات عديدة"[6]. "ومن الواضح أن الفرق بين هذه الأحوال لا تخضع لمجرد إمكانيات التعميم والتجريد، بقدر ما تؤدي من وظائف أسلوبية في بنية القص ذاتها، فتشير إلى تغيير في المنظور أو اختلاف في التفاصيل وإيقاع الأحداث بالنسبة لما يقابلها من مساحات سردية"[7].

من مرة في كتاب الله كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة والدعاة لله تعالى، أما التي ذكرت مرة واحدة فمع سمو الحقائق التي قررتها وما فيها من مناهج تربوية وغايات رائدة، إلا أنها لم تكن تتحدث عن مجال الدعوة وعما كان بين الأنبياء – عليهم السلام – وأممهم وما لاقاه هؤلاء من أولئك، إنما كان حديثها في مجالات اجتماعية وجوانب إنسانية، وقيم خلقية تمد الباحثين والعلماء بقبس لا يخبو على مدى الدهر"[8].

وقد يظن البعض لأول وهلة، أن القصص الذي لم يذكر كثيرا في كتاب الله تعالى، قليل إذا ما قيس بغيره مما ذكر مرات عديدة، لكن الأمر على عكس ذلك، فقصة يوسف عليه السلام ذكرت مرة واحدة، وقصة موسى مع العبد الصالح والتي جاءت في سورة المائدة، ومع قومه في ذبح البقرة، ومن هذا القبيل ما جاء في شأن يحي وعيسى عليهما السلام حيث ذكرتا مرتين إحداهما في سورة مريم والأخرى في سورة آل عمران، وما جاء في شأن يونس، وما كان من خبر أيوب وداود وسليمان، فلقد ذكر خبر أولئك مفرقا على عدة سور حيث خصت كل سورة بجانب يتلاءم مع موضوعها وشخصياتها. إلا أن هناك قصة واحدة خرجت عن هذه القاعدة، وذكرت أكثر من مرة وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة، وهي قصة آدم، لكننا إذا عرفنا أن القصة جاءت تكلمنا عن النواحي الفطرية والجوانب الرئيسية في حياة الإنسان، وعن الاستعدادات والغرائز التي تتكون منها طبيعته أدركنا سر ورودها في أكثر من سورة.

---

6 –المرجع نفسه ص305.
7– المرجع نفسه ص305.
8– فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب، د.ط سنة 1989 ص23.

OУЭ ЖÆÇ О Ѿ OУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OУЖе Ѿ OУЭ OУЖЎ к е О

والملاحظة التي يمكن تسجيلها على القصص القرآني أيضا هو أن الأنبياء الذيـــن لاقـــوا العنت من قومهم وتحملوا المشاق كإبراهيم ونوح وصالح وهود وشعيب وموسى وعيســـى –عليهـــم السلام– هم اللذين ذكرت قصصهم أكثر من مرة. كما أن هناك قصصا لغـــير الأنبياء أو لمن اختلفوا في نبوءتهم، وهذه لم تذكر إلا مرة واحدة كقصة ذي القرنين ولقمـان ونبأ بني آدم وقصة أهل الكهف وخبر المائدة التي طلبها الحواريون وأصحاب الجنة ومع مـــا تعطيه هذه القصص من قيم ومع ما فيها من عظات وفوائد من تربية، وسياسة واجتمـــــاع وحكم وغير ذلك من المجالات الحيوية المفيدة إلا أنه اكتفى بذكرها مرة واحدة لأنها تـــؤدي الغرض الذي وظفت من أجله من غير أن تذكر مرة ثانية.

بالإضافة إلى هذا كله فإننا نلاحظ أن بعض السور القرآنية ا ـ واحدة، ذكر فيها أكثر من قصة، نجد هذا في سورة الكه ـ ص لم تذكر في سواها وهي قصة أهل ا ـ ـين، إلا أن الشيء الذ ـ ره انه لا توجد قصـــة واح ـ ي القصة ما لم يجيء في الأخـــرى، ففي ـ ـ حداث ما انفردت به السورة التي ذكرت فيها هذه القصة، ـ ـ التي اقتضاها السياق لم تأت على أســـلوب واحـــد وفي معظـــم الأحيان يأخذ من القصة بعضا لأن في هذا البعض ما يستغني به عن الإطالة اعتمادا علـــى أن القصة معروفة مشهورة. "فالمعلومات السردية عديدة الدرجات، والقصة يمكـــن أن تقـــدم للقارئ كل أو بعض هذه المعلومات بشكل مباشر أو غير مباشر أي مـــع المحافظـــة علـــى مسافات تختلف في قربها أو بعدها من حالة إلى أخرى، كما يمكن تدريج هذه المعلومات تبعا لدرجة معرفة الشخصيات المشاركة في الحدث بها، حيث تقوم "رؤيتها" أو "نقطة رصدهـــا" و"وجهة نظرها" بتحديد منظور الأحداث المروية مما ينتج لدينا مصطلحين في صيغ الســـرد

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هما "البعد DISTANCE" و"المنظور PERSPECTIVE" تتحدد على أساسهما المعلومات التي يقدمها النص السردي"[9].

وسنتناول فيما يلي أنموذجا تطبيقيا تتجلى فيه بوضوح النقاط التي سبق ذكرها ويتمثل في قصة موسى- عليه السلام-:

البنية السردية ودلالتها في قصة موسى عليه السلام:

إن المنهج المطبق في تحليل القصة هو منهج الشعرية النبوية وهو منهج تودوروف "الذي استلهمه من "جاكوبسون". والمنهج ينظر إلى النص كبنية كلية ثم يقسم النص إلى مستويين:

مستوى سردي محكي: ويسمى مستوى القصة: وهذا المستوى ينظر إلى القصة على أنها أحداث متتالية متتابعة سواء أكانت واقعية أم متخيلة وهو ما اصطلح عليه "متتالية حدثية" كما يرى القصة أحداثا مروية قد تتآلف من خلال مقطوعة واحدة أو من خلال مجموعة من المقطوعات التي يربطها خيط معين. وسواء تكونت من مقطوعة واحدة، قصيرة أم طويلة فالمقطوعة تشكل وحدة موضوعاتية أي أن كل مقطوعة تقدم موضوعا بعينه تتسلسل عبرها الأحداث.

والتحليل على مستوى القصة ينقسم إلى قسمين:

الأول: مستوى منطق الأحداث أي طريقة تركيب الأحداث.

الثاني: مستوى الشخصيات وعلاقاتها.

مستوى الخطاب: ويعتبر تودوروف السرد من حيث هو خطاب وحسب كلام واقعي موجه من طرف السارد إلى القارئ، ويفصل في طرائق الخطاب بين مجموعات ثلاث: زمن السرد الذي يتم التعبير من خلاله عن العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب؛ ومظاهر السرد

---

9 -صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص305.

OУЭ ЖКÆÇ О Ѿ OУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э r OУЖe Ѿ OУЭ OУЖЎ к e O

أو الكيفية التي تدرك بها القصة من طرف السارد؛ وأنماط السرد التي تتوقف على نوع الخطاب المستعمل من طرف السارد من أجل إبلاغنا القصة[10].

وقصة موسى لا تعتبر عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية البشرية، إنما هي كغيرها من القصص القرآني، وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة في التعبير عن غرضه الديني، فإذا نظرنا إلى القرآن نجده كتاب دعوة دينية قبل كل شيء وما القصة إلا وسيلة من وسائله لإبلاغ هذه الدعوة.

ونتيجة لذلك نجد قصة موسى قد خضعت في موضوعها وإدارة حوادثها وشخوصها إلى هذا الغرض الديني، ولكن هذا الخضوع والانقياد المطلق للغرض الديني، لا يعني خلو القصة من الخصائص الفنية في عرضها، فالسرد القرآني يؤلف بين الخا الفني) إذ إلى جانب غرضها الديني نرى أنها تخضع لمنهج فـ زة.

1-الشخصيات وعلاقاتها:

الشخصية هي الم ـ ـها بتحريك الشخ ـ من أجزائها دون الأجزاء الأخرى ـ العامة صاعدا بها نحو الغاية المحددة.

ويفتر ـ تتلاحم مع الفكرة العامة، وهذا ضمن علاقاتها بالشخصيات الأخرى. و ـ ما يبرز جليا في قصة موسى؛ إذ في إطار ما يسمى بالرغبة والتواصل رأينا الشخصية تمارس صفاتها وسلوكها صاعدة بالفكرة العامة إلى غايتها، فالشخصية وصفاتها وعلاقاتها تتلاحم مع الفكرة العامة وتكونان حبكة فنية رائعة.

والشخصية في حقيقتها ليست إلا مجموعة من العلاقات اللغوية يبثها الكاتب في القصة بحسب تدبيرها، لذلك رأينا القصة قد أمدتنا بتصوير جديد في بناء الشخصية، لا سيما

10 – تزيفيطان تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ترجمة ،الحسن سحبان، فؤاد صفا مجلة آفاق، العدد 8 سنة 1988/ 1989 ص42.

11 –رشاد ثابت، فن القصة القصيرة، دار العودة، بيروت ط2 سنة 1975 ص50.

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملامحها الفنية. فالشخصيات كلها ناضجة ومركبة من حيث الأداء الفني، ومعنى ذلك أنها احتوت على أكثر من ظاهرة فنية منها: خروج الشخصية عن حيز إطارها الذاتي البشري، إلى محيط أدائها الفني في التركيب البنيوي للقصة.

ومنها ما قدمته الشخصية بالإيحاءات الفنية من عظة نافعة أو تصوير للبيئة أو رصد للظاهرة الحضارية، عمرانية كانت أم فكرية، ومنها ما كانت تثيره هذه الشخصية من ألوان العاطفة المغروسة في النفس البشرية بصفة عامة ،و تتميز الشخصية بخاصيتين مهمتين: **الأولى**: هي الحركية والثانية: هي التشيؤ والتعالق، أما **التشيؤ Chosification** فهو الحد من قيمة الشخص النفسية والاجتماعية وتقليص دوره في نظام القص. في حين أن التعالق هو بروز الشخصية وتفاعلها ضمن شبكة من العلا قات الإنسانية (مع الشخصيات الأخرى) من جهة ومع الأشياء في القصة من جهة أخرى، فقيمة الشخصية لا تبرز من خلال تميزها وفرديتها بل تبرز ضمن علاقات ثنائية أو جماعية، ضدية أو متآلفة توضح الشخصية وتذهب عنها اللبس، فشخصية موسى المؤمنة اتضحت أكثر عندما قوبلت بشخصية كافرة وهو فرعون، وشخصية موسى العصبية المندفعة اتضحت أكثر عندما قوبلت بحلم وهدوء الرجل الصالح وهكذا، ويرى تودوروف أن علاقات الشخصيات في كل سرد يمكن أن تقتصر دائما على عدد صغير، وأن شبكة العلاقات هذه تلعب دورا أساسيا في بناء العمل الأدبي

ويشترك جميع شخصيات القصة "في أن القرآن لم يقم وزنا لصفاتهم" ومميزاتهم الحسية، فلا طول ولا عرض، ولا لون بشرة، ولا ملامح ولا قسمات من كل تلك الصفات التي تميز الشخصية عن أخرى، والتي يلجأ إليها الباحث ليجعل منها معالم يهتدي بها بين الأجسام والعقول"[12]. وهذا لا يعني الغياب الكلي لصفات الشخصيات، بل هناك بعض اللفتات والإيحاءات إلى هذا الجانب من مثل قوله تعالى: "**واحلل عقدة من لساني**"[13].

12 –محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم ص270.
13 –سورة طه الآية 27.

OУЭ ЖÆÇ О Ѿ OУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OУЖе Ѿ OУЭ OУЖЎ к е О

و قوله تعالى"**ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار التي تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين**"[14] من حيث دلالتها على لكنة موسى وغيرها من الأمثلة الإيحائية على هذه الصفات كثيرة.

إن تصرفات الأشخاص حيال الأحداث التي تلم بهم، تدلنا على عقليتهم ومزاجهم، مما جعلنا نلاحظ فروقا بين هذه الشخصيات، على هذا الأساس يعرفنا السرد القصصي على عدة نماذج إنسانية يرسمها في سهولة واختصار فما هي إلا جملة أو جملتين حتى يمثل النموذج الإنساني شخصا من خلال اللمسات وينتفض مخلوقا حيا خالد السمات.

ومن أهم ما تتميز به هذه النماذج الإنسانية المصورة في قصة موسى، الشمولية: لا تبدأ من شخص بل من فكرة تصدق على نمط معين من الناس، إلى جانب انية وهي الصدق الواقعي والذي يظهر جليا في الواقعية الـ ف دخائلهم وتحليل فكرهم وسلوكهم الـ ظ أن هذه النماذج في الـ

*ع م

يندرج موسى بفرعون، علاقة موسى ببني إسرائيل، علاقة موسى بهام رة بني إسرائيل بفرعون، علاقة فرعون بزوجته.

الملاحظ ان هذه النماذج يغلب على علاقاتها ببعضها التنافر المستمر إلا أن رغبة كل واحد منهم في جذب الآخر إليه ووضعه تحت سيطرته وبالتالي الخضوع لعقيدته، جعل هذه النماذج على اتصال مستمر اتصال يغلب عليه الصراع.

يندرج ضمن الباب الثاني، علاقة موسى بهارون، علاقة موسى بامرأة فرعون، علاقة موسى بالفتاتين وأبيهما، علاقة موسى بالعبد الصالح وهذه النماذج يبدو في علاقاتها مع بعضها الانسجام والمساعدة والتكامل حيث ظهرت بعض هذه الشخصيات في صورة

14 –سورة الزخرف الآية51،52.

المخلص المنقذ، وظهرت أخرى في صورة الحليم الرزين الذي يجنب موسى السقوط إثر الفشل ويبعث فيه الأمل بعد اليأس ويشد أزره في المواقف الصعبة (أخوه هارون، أب الفتاتين) وبرزت أخرى في صورة المعلم المرشد (العبد الصالح) وظهرت أخرى في صورة الأم الرؤوم (زوجة فرعون). ومن خلال تفاعل هذه النماذج مع بعضها البعض ومن خلال علاقاتها استطعنا أن نقف على ثلاثة مستويات المستوى الأول في دراستنا هو مستوى العقائد.

1- **مستوى العقائد**: المجتمع لا يعيش تحت عقيدة واحدة بل اختلفت العقائد وتنوعت بين الكفر والإيمان والنفاق فبرزت بذلك ثلاث نماذج متصارعة هي كالتالي:

أ_ **نماذج مؤمنة**: وتتمثل في الشخصية الرئيسية موسى عليه السلام وشقيقه هارون والرجل المؤمن من آل فرعون، السحرة الذين خروا لموسى ساجدين"**فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى**"[15] ثم أم موسى وأخته وامرأة فرعون، كل هذه الشخصيات تتلاقى في مميزات مشتركة أهمها أنها نماذج طيبة شجاعة، كريمة، صابرة، باذلة، فاعلة، ثابتة، إيجابية.

ب -**نماذج منافقة**: وعلى رأس هذه النماذج تبرز شخصية بني إسرائيل، وهي من الشخصيات الجماعية التي آمنت برب موسى، ولكنها في كل مرة تنقلب على أعقابها لمرض في قلوبهم وزعزعة في نفوسهم وهذا النموذج يطلق عليه تودوروف مصطلح "الظاهر والكائن" في مستوى العلاقات بين الشخصيات.

ج -**نماذج كافرة**: وتمثل لها بشخصية فرعون، هامان وقارون، وأتباعهم اللذين طغوا في الأرض وكفروا برب موسى، و لم يكتفوا بهذا بل ادعوا الربوبية واتهموا موسى بالسحر "**ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر**

15 –سورة طه الآية 69.

كذاب"[16] وهذا نموذج للتكبر والتجبر من قبل الكفار، كما يمثلون حالة العناد السخيف والكفر البغيض والطغيان. والملاحظ كما سبق وأن ذكرنا أن هذه النماذج يغلب على علاقاتها التنافر إلا أن رغبة كل واحد منهم في جذب الآخر إليه والسيطرة عليه وبالتالي الخضوع لعقيدته جعل هذه النماذج على اتصال مستمر يغلب عليه الصراع، أما إذا تركنا مستوى العقائد وحاولنا كشف علاقات الشخصيات من جانب أو على مستوى آخر وجدنا المستوى الاجتماعي خير من يبرز لنا علاقات الشخصيات ببعضها.

2- **المستوى الاجتماعي**: أول ملاحظة نسجلها على الشخصيات حسب هذا المستوى أنها تنقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية كل طبقة تربطها بالأخرى علاقات سنعمل على كشفها في حينها وهي كالآتي:

الطبقة الأولى: الطبقة العليا وتضم فرعون

الطبقة الثانية: الطبقة ال

الطبقة الثالثة: والهوان ويمثلها بنوا إسرا

وه علاقات جدلية، تراوحت بين الاستضعاف والسيطرة، الإذلال و صح والعتو ،الطيبة والجحود...

فبنوا إسرائيل نموذج للشخصيات الجماعية وأعني بها جماعة بشرية تتفق في جميع النواحي، في الأفكار والأحاسيس، والخطوات والأفعال فنجدها تتحرك عبر الأحداث وكأنها فرد واحد، فمن خلال تتبعنا لحركة هذه الجماعة عبر السياق السردي نجدها تنبؤنا بما ستكون عليه هذه الشخصية من حال في المستقبل، وهذا عبر الإحالات الفكرية والعلاقات الاجتماعية سواء أكانت هذه العلاقات مع فرعون وملئه، أو مع موسى وهارون.

---

16 –سورة غافر الآية 23،24.

فلقد وصفت هذه الجماعة بأنها ذليلة، مستضعفة، استمرأت الذلة والدنية، وقبلت أن تسلب كل مقومات الشخصية وهذا من قبل فرعون من خلال علاقته بهم ،و أراد الله من خلال هذه العلاقة أن يبين أن الله خلق البشر جميعا من طينة واحدة وأودعهم عنصرا واحدا فلم يجعلهم طائفتين، طائفة أعطيت من العناصر ما يجعلها قوية لها حصانة من الاستضعاف، وطائفة حرمت من هذا، إنما هذا الاستضعاف ينشأ من المجتمع، مكتسبا يختاره بعض الناس لأنفسهم، رغم مرارته، وقسوته فهم يستمرئون الاستضعاف كما يستمرئ المريض مرارة الدواء ،مع ما بينهما من فرق بعيد. ولقد أدرك موسى حقيقة العلاقة القائمة بين فرعون وبني إسرائيل لذلك نجده قد وقف من قومه موقف الناصح، المحذر، يصارعهم ويقارعهم محذرا حينا ،ومذكرا أحيانا، ولكن في آخر المطاف فشل في مهمته فوقف مناجيا ربه فاقدا الأمل فيهم يقول: **"رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك"**[17] فقد تبرأ موسى وهو يعتذر لربه، فلئن ضاع جهده وسعيه مهم فالجزاء عند الله أعظم وأوفى.

ورغبة فرعون في إزاحة موسى عن طريقه، ولد صراعا بلغ أشده في علاقة موسى بفرعون، فنرى أن فرعون رغم إقامة الحجة عليه ورؤيته للخوارق التي تبهر الأبصار، وتحير العقول، إلا أنه لم يرعو ولم ينته، ويرجع عن غيه، بل ظهرت فيه صفات خبيثة منها أنه عال في الأرض أي جبار عنيد مشتغل بغير الحق، وإنه لمن المسرفين أي في جميع أموره وشؤونه وأحواله فهو لذلك جرثومة حان استئصالها وثمرة خبيثة آن قطافها[18] ولذلك أغرقه الله وملئه في اليم جزاء له. أما إذا ما تركنا هذه الفئات الثلاث (بنوا إسرائيل، فرعون وملئه، موسى وهارون) والتفتنا إلى فئة واحدة من هذه الفئات ورصدنا علاقات أفرادها ببعض، نجد أن شخصية هارون مناقضة لشخصية موسى، فإذا كان موسى نموذج الزعيم المندفع العصبي

17 – سورة الأعراف الآية 151.
18 – ابن كثير ،قصص الأنبياء دار الشهاب، الجزائر سنة 1981ص348.

OУЭ ЖÆÇ О Ѿ OУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OУЖе Ѿ OУЭ OУЖЎ к е О

المزاج، فهارون نموذج الرجل الرزين الحكيم، فهو يتحلى في مواجهة المواقف بالرزانة والتأني والحكمة، ونتيجة لهذه الصفات أحبه بنوا إسرائيل.

لقد أحس موسى بضرورة وجود هارون معه في كل خطوة يخطوها في سبيل الرسالة لأنه رأى أنه يكمله ولتحقيق هذه الرغبة قال: **"رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا"**[19] فعلاقة هارون بموسى كعلاقة الوزير بالرئيس، يساعده في كل أموره، وجاءت شخصيته في السرد بمثابة الرادع الذي يضع حدا لانفعالات موسى، فهو شخصية مساعدة مكملة لشخصية موسى.

ومن خلال تطوافنا في القصة مع الآيات الكـ ات جديرة بالتريث هي الشخصيات ا أن البيئة قيدت حركـ ، ويتجلى ذلك في علاقة رجل، كما أننا لم نعثر في هذه القصة ع ى السرد بلفظ" "امرأة" سواء أكانت متزوجة أم لا.

لقد أم ردج للمرأة من حيث نفسيتها وقدراتها العقلية وعملها الاجتماعي، وحكمها على الأشياء فكانت أم موسى نموذجا للأم المنفطرة القلب، إذ صور القرآن عواطفها وحبها لأولادها وشغفها وخوفها عليهم ...الخ، من هذه الصفات المغروسة في قلب كل أم تتضح العلاقة بين موسى وأمه.

أما إذا ما تركنا أم موسى، والتفتنا لأخته وجدنا القرآن يشير إلى بصيرتها وتقديرها للأمور، وحسن المخرج في التغلب على المصاعب وذكائها، وفي مقابل هذه الفتاة وجدنا امرأة ثالثة تفيض رحمة وحنانا مع عقل راجح واستعطاف مؤثر، مع ما تخفيه من تدين

19 – سورة طه الآية 24، 25، ...35.

صادق غير مفتعل، وهنا ندرك ما للمرأة من تأثير في حياة الرجل حتى ولو كان جبارا متسلطا، نلحظ ذلك من موقفها مع موسى حينما أبدت رغبتها في تبنيه "**وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون**"[20] لقد استطاعت المرأة أن تؤثر، واستطاع الجبار أن يستجيب، إنها تحاول استعطافه بكلمة "قرة عين لي ولك" فكأنما تقول عندك من الجنود والعمل والملك ما تشغل به وقتك أما أنا فليس لي من ذلك شيء، فمن أجلي أولا ثم من أجلك، ومن يدري فلعلها لو قالت "قرة عين لك" أولا لقال أنا أجد ما تقر عيني به فلا أريد، ولكن حصافة المرأة المؤمنة وذكائها أرشداها إلى المدخل المحدد.

وأخيرا تأتي شخصية ابنتا الشيخ الكبير، ولقد سرد علينا القرآن الشيء الكثير من صفاتهما، فهما لا تزاحمان الرجال أولا فتبتعدان بغنمهما حتى ينتهي الرعاة من السقي، ثم تبينان بأدب ولباقة السبب الذي جعلهما يمتهنان هذه المهنة، رغم أنها تخص الرجال، وقد نفى القرآن عنهما صفة الثرثرة، فلم يحدثنا عن شيء بعدما سقى لهما موسى. والعلاقة التي تربط موسى بهذه الشخصيات النسوية هي علاقة أسرية بحتة.

ومن الشخصيات الطارئة على الأحداث شخصية الخضر التي انفردت بميزات عديدة نذكر منها العلم الإلهي، الاتزان والرزانة، التواضع وكانت علاقتها بموسى علاقة المعلم بالمتعلم، إذ من خلال هذه العلاقة نستشف قصة التواضع في طلب العلم! علاقة موسى بالخضر تعطينا دروسا عن كيفية تعامل المتعلم مع المعلم والعكس.

والملاحظة التي يمكن تسجيلها بعد الانتهاء من دراسة هذه الشخصيات وعلاقاتها، أن هذه الشخصيات ليست على مستوى واحد إذ بينها رغم اتحادها في بعض الخصائص اختلافات.

---

20 – سورة القصص الآية 9.

ÕƟ ЖÆÇ O Ũ OƟ к Ă ЖӮ Ũ Ə ŕ OƟЖе Ũ OƟ OƟЖӮ к е O ŀ

أولها: أن هذه الشخصيات لا تستغرق نفس المساحة الزمنية في القصة، ففي حين يستغرق موسى وفرعون القصة بأكملها ،يكتفي الأشخاص الآخرون بالبروز والاختفاء (امرأة فرعون، الخضر، الشيخ الكبير ...) كما أننا نسجل ملاحظة أخرى وهي أنه على كثرة الأشخاص تبقى هويتهم دائما مجهولة لا يعرف السياق عنها، بل اكتفى بالتلميحات والإشارات التي من خلالها استطعنا معرفة الصفات التي تتميز بها كل شخصية.

فموسى إذا هو الشخصية المحورية والأساسية في القصة، وقد كان إشعاعه على مجموع الشخصيات واضحا فهو المتحاور معها جميعا وتكون الظاهرة المهيمنة على مستوى توزيع الحوار كالآتي:

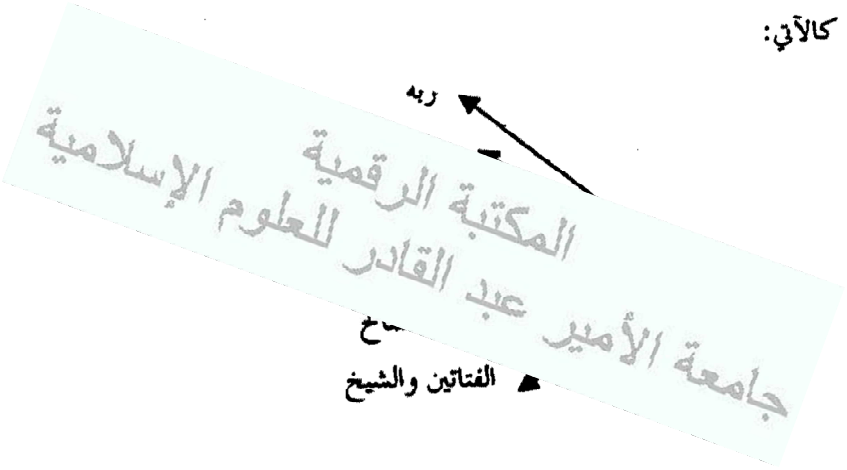

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على عكس الشخصيات الأخرى التي تظهر في إطار زمني ثم تمحي -والتي سبق وأن أشرنا إليها -فشخصية موسى استغرقت القصة بأكملها مما يجعلها الشخصية المحورية

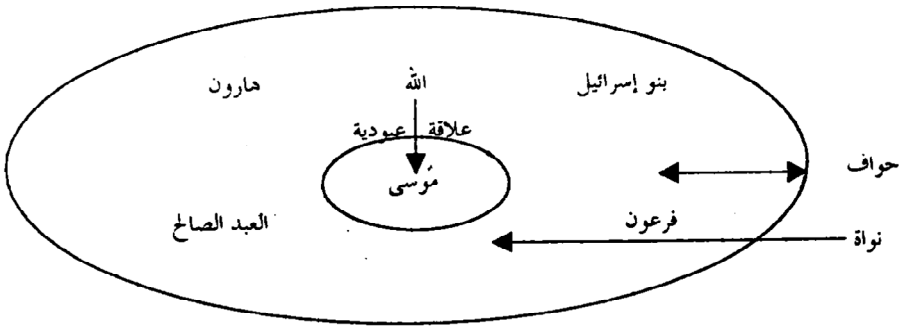

والآخرون بمثابة الحواف.

العلاقات بين الشخصيات تنقسم إلى بابين كبيرين إذن هما:

- علاقات الصراع والتضاد.
- علاقات المساعدة والتناغم.

لقد أمدنا المنهج الفني لقصة موسى بطريقة مثلى في تحريك الشخصيات داخل القصة ضمن علاقات مختلفة وحملها من الإشعارات الفنية واللفتات والمعلومات العامة، ترسلها إلى المتلقي يستقرئ بها مستقبل الحدث، وخطوات الشخصية واتجاهاتها نحو نقطة الوضوح، التي يدفع السرد ذهن المتلقي إليها، من خلال الإلحاح عليها بمختلف الصور.

وفي الأخير ترسيمة للشخصيات وعلاقاتها على ركح القصة حسب البابين المذكورين آنفا وهما الصراع والتضاد، والمساعدة والتناغم.

OУЭ ЖÆÇ О Ѿ ОУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э ґ ОУЖе Ѿ ОУЭ ОУЖЎ к е О

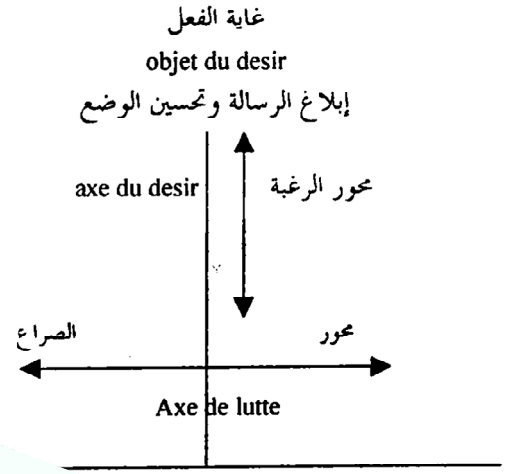

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

العبد الصالح
امرأة فرعون
– الشيخ الكبير
– الأخت

موسى
– عليه السلام –

ر من الكافرين)

2 – الأحداث: لقد لعب الحدث في قصة موسى عليه السلام دورا مهما في شـــد الحبكة الفنية للحكاية، والجدير بالذكر أن أحداث هذه القصة حقيقة ثابتة من حقائق الحيـاة المخلوقة، ولقد رتبت هذه الأحداث ترتيبا منطقيا، يتماشى مع غاية القصة، فكانت بدايتـها بذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، نـأخذ مثالا على ذلك قصة موسى عليه السلام في سورة بعينها وهي سورة القصص، حيث تبـدأ هكذا: "**نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنـون، إن فرعـون عـلا في الأرض، وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وإنـه**

كان من المفسدين، ونريد أن نمن على اللذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون"[21]. ثم تمضي في تفصيلات قصة موسى عليه السلام، مولده –نشأته– رضاعته – كبره– قتله للقبطي–خروجه ...الخ فكانت هذه المقدمة التي تكشف الغاية من القصة، تمهيدا لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها الغاية المرسومة، فالقصة عبارة عن مجموعة من المقطوعات أو كما اصطلح عليه "متتاليات حدثية" متآلفة يربطها خيط واحد، وسواء تكونت القصة من متتالية حدثية واحدة قصيرة أم طويلة فالمتتالية تشكل وحدة موضوعاتية أي كل مقطوعة تقدم موضوعا بعينه تتسلسل عبرها الأحداث.

وقصة موسى حينما ندرسها دراسة أولى نجدها تنقسم إلى خمس متتاليات حدثية:

الأولى: قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما.

الثانية: قصة الرحلة.

الثالثة: قصته مع فرعون.

الرابعة: قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء.

الخامسة: قصة الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الأسيوي.

القصة الأولى: قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما وتنقسم هذه القصة بدورها إلى حدثين بارزين الأول: ما قبل المولد: وهي أحداث أغفلها السرد القصصي و لم يوليها اهتماما لأنها لا تخدم الغرض الرئيسي أو غاية القصة ككل، والثاني: المولد والنشأة وما يتصل بهما، وهو الحدث الأساسي في هذه القصة والذي ركز عليه القرآن وفصل فيه الحديث، واعتقادي أن هذا التركيز يرجع لخطورة الميلاد وأثره الموحي، إذ جاء مولده في عصر يذبح فيه الفرعون كل مولود ذكر يولد لبني إسرائيل فيشاء الله أن ينجي موسى بلجوئه وهو رضيع

21 – سورة القصص الآية 3

OУЭ ЖÆÇ О Ѿ ОУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г ОУЖе Ѿ ОУЭ ОУЖЎ к е О

إلى قصر الفرعون ذاته، وهو مصدر الخطر وبذلك يولد الأمن في أحضان الخطر، ويتم تدبير الله وتنفذ مشيئته وتصعد بذلك الأحداث، وتسير إلى الغاية التي حددت، بأن يكز موسى القبطي فيقتله ويفر إلى مدين وهنا تأتي القصة الثانية لتكمل بقية الأحداث.

القصة الثانية: وتنقسم أيضا إلى حدثين بارزين الأول: الرحلة نفسها والمسافة التي قطعها موسى عليه السلام من مصر إلى أن وصل إلى مدين، وهذه مر عليها السرد مرا خفيفا. والثاني وصوله إلى مدين، والتقاؤه بالفتاتين، وزواجه بإحداهن، ودامت مدة إقامة موسى بمدين 10 سنوات طبق فيها القرآن الكريم تقنية الاختصار أو ما يسمى بالتلخيص. وفي طريق العودة إلى مصر كلف موسى بالرسالة وكان هذا الحدث ... القصة الثالثة.

القصة الثالثة: وتدور أحداثها ... ل:

عرض موسى معجزا... الحدث الثاني:

وهو ا... يعوق موسى. عندها أخذ

موسى ... ن هم فرعون وخاصرهم عند البحر وبأمر من الله

ضرب مو... البحر على فرعون ومات غرقا، ونجا بنو إسرائيل من كيده

واستقروا بشبه جزيرة سيناء وهنا تأتي القصة الرابعة.

القصة الرابعة: قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء وتتضمن هي الأخرى حدثين بارزين الأول: ذهاب موسى لميقات ربه في وادي طوى، وهناك جدث ما حدث وبعد أربعين ليلة قضاها موسى عليه السلام في جبل الطور، قفل عائدا بألواحه إلى قومه فوجدهم عاكفين على ثور يعبدونه، صنعه لهم السامري وهذا هو الحدث الثاني.

القصة الخامسة: وفيها تم الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الأسيوي، وهناك أمرهم الله بالدخول إلى أرض المقدس، فرفضوا الانصياع لخوفهم من العمالقة القاطنين بها،

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فحل غضب الله عليهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة يتيهون في الأرض أربعين سنة و لم يدخل بنوا إسرائيل بيت المقدس إلا بعد وفاة موسى –عليه السلام–.

وقد يبدو للمتسرع أن هذه القصص الخمسة مفككة لا يربطها رابط، إلا أننا لو دققنا النظر لوجدنا أن الانتقال من قصة لأخرى تم عن طريق حدث رئيس ربط القصة بالأخرى، فرؤية فرعون أثارت القصة الأولى، وأثار قتل القبطي القصة الثانية وهكذا فالقصص الخمسة ربطها منذ البداية خيط متين لعب دوره الكبير في النسيج الفني لحكايتها ،فجاءت هذه القصص قصة واحدة لعبت الأحداث فيها دورها المرسوم لها في حيز السرد القصصي، وكان أداؤها منظما متلاحما قويا لا يعتريه أي خلل ولا تخرجه عن مركز الحكاية أية هنة. فالأحداث تسير في تسلسل حيث كل حدث ينتهي بنهاية مفتوحة تسمح بتولد حدث آخر منه، حيث يولد الحدث من نهاية الحدث الذي سبقه، وهذا ما اصطلح على تسميته "بنظام العلية السببية"، هكذا رتبت الأحداث على شكل السبب والنتيجة، فالحدث الأول أثير من سبب والثاني كان نتيجة له وهكذا حتى نهاية القصة"[22]. فسبب إيمان فرعون بأن ذكرا يولد في بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه أدى إلى نتيجة، وهي قتل كل مولود يولد في بني إسرائيل، السبب الذي أدى إلى رمي موسى –عليه السلام– في اليم، نتيجة لذلك تربى في البلاط الفرعوني. وهكذا تجري الأحداث حيث كان كل حدث سببا ونتيجة في نفس الوقت.

فالأحداث بواسطة هذا النظام، لعبت دورا كبيرا في تنمية الفكرة العامة، فكانت هي التي تحكي لنا عن موسى (ما بعد مولده – مولده – نشأته)، حتى إذا انتهى القسم الأول من القصة استخدمت الشخصية نفسها لكي تسعى بدورها للوصول بالقصة إلى نقطة الوضوح، وهو القسم الثاني من القصة.

---

22 – خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر ص148.

OУЭ ЖКÆÇ O Ѿ OУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OУЖе Ѿ OУЭ OУЖЎ к е O

فالأحداث عبارة عن مشاهد أو مقاطع استعراضية للحكاية، يحمل كل حدث منها جزءا من الحكاية متمما لما قبله. ومن ثم كان من الصعب إهمال أي حدث من الحكاية؛ حيث يترتب على ذلك سقوط جزئية من القصة، رغم الانفصال الذي قد يبدو لنا نتيجة تكرار بعض المفاصل.

فمثلا الاستغناء عن حادثة قتل القبطي يترتب عليه عدم الانتقال إلى مدين، ومن ثم عدم تتمة القصة كلها. ولو أسقطنا حادثة رمي موسى في اليم، لما كانت تربية موسى في بيت فرعون، وإذا أسقطنا هذا الجزء من الحكاية فإننا لن نجد الإجابة عن السؤال: كيف وصل موسى إلى قصر فرعون؟. وبهذا التلاحم والتداخل، أصبح من المستحيل الا... حدث أو إسقاط حدث، دون تناثر أجزاء الفكرة العامة للقصة، و... ك الفني ومتانة بناء هيكل القصة.

وهذه الترسيمة تبين بو...

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

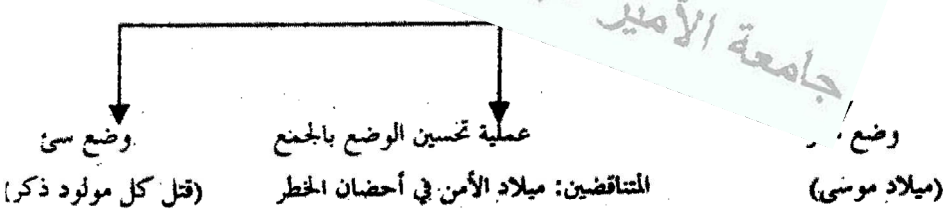

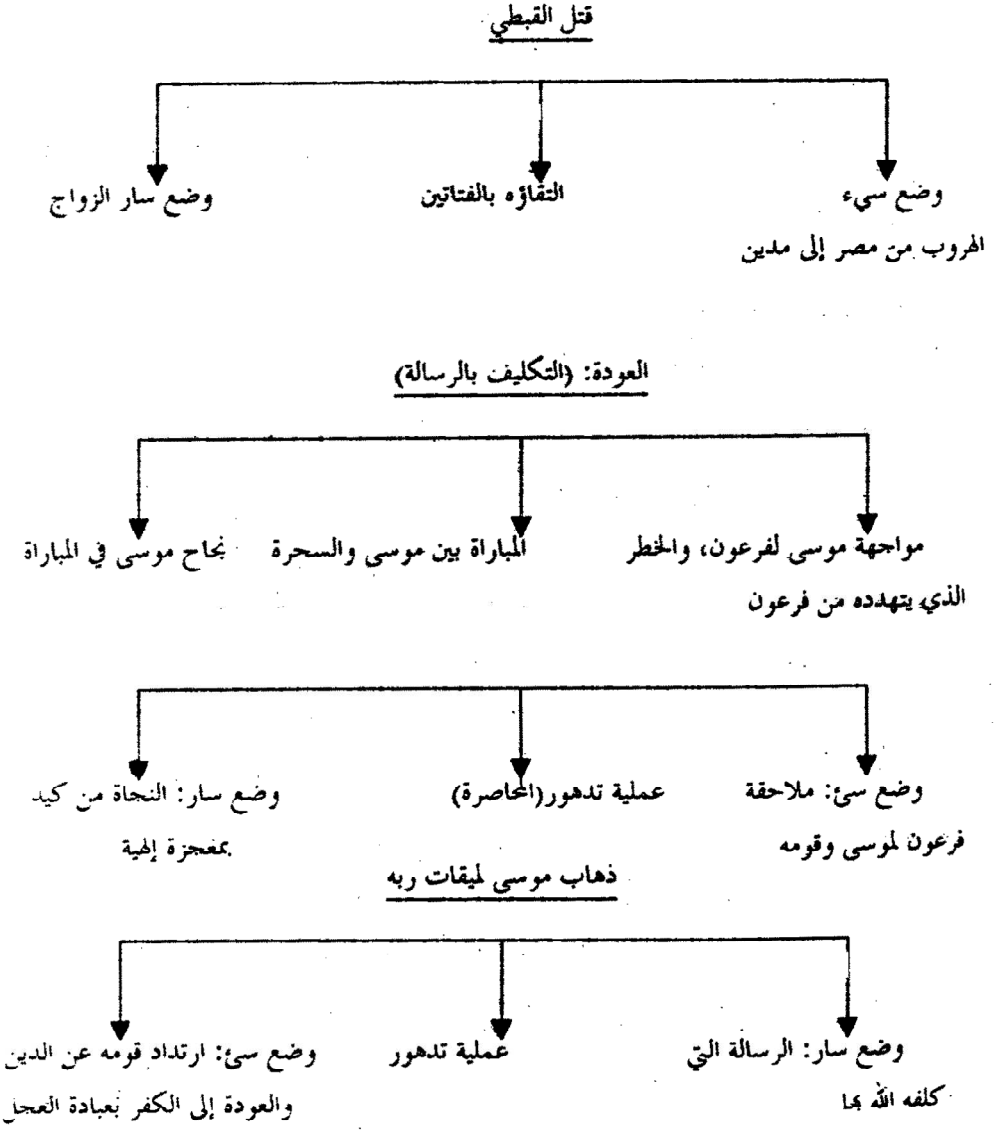
قتل القبطي
وضع سيء
التقاؤه بالفتاتين
وضع سار الزواج
الهروب من مصر إلى مدين
العودة: (التكليف بالرسالة)
مواجهة موسى لفرعون، والخطر
الذي يتهدده من فرعون
المباراة بين موسى والسحرة
نجاح موسى في المباراة
وضع سيئ: ملاحقة
فرعون لموسى وقومه
عملية تدهور(المحاصرة)
وضع سار: النجاة من كيد
بمعجزة إلهية
ذهاب موسى لميقات ربه
وضع سار: الرسالة التي
كلفه الله بها
عملية تدهور
وضع سيئ: ارتداد قومه عن الدين
والعودة إلى الكفر بعبادة العجل

OУЭ ЖКÆÇ О Ѿ OУЭ к Ă ЖЎ Ѿ Э г OУЖе Ѿ OУЭ OУЖЎ к е О

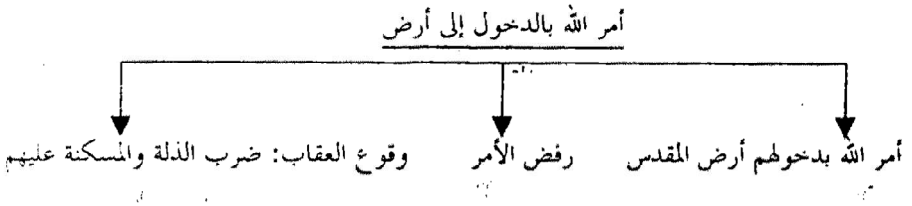

لقد اتسمت الأحداث في مجملها بحيوية التصوير وحركته مما جعلنا نرى المشهد يتمثل أمام أعيننا، ونرى السياق يمضي هادئ الخطو، سهل الإيقاع، تقريري الأسلوب، وكأنما هو الوصف المصاحب لمسيرة بني إسرائيل وتنقلها من مكان لآخر في [illegible] خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة. وقد يشتد الإيقاع أحيانا [illegible] يعود ليساير الأحداث في الخطو ال[illegible]

لقد لعبت الأح[illegible] وموعظة وعبرة وهدا[illegible] الفني إلى جوانب البيئة المكانية. [illegible] جتماعية والنفسية ما جعلنا نقف على حالة المجتمع الا[illegible] التي كان يعيشها في ذلك الوقت.

3 – التكرار:

إن خضوع القصة للغرض الديني، ولد آثارا واضحة المعالم في طريقة عرضها في المادة نفسها، وكان أول أثر لهذا الخضوع، أن ترد القصة في معظم الحالات مكررة في مواضع شتى. وهذا نوع من التماسك الوظيفي "وفي الحديث اليومي كثيرا ما يلجأ المتكلمون إلى هذا النوع من التماسك الوظيفي خاصة لأسباب استراتيجية. وبهذه الطريقة فإنه يمكنهم العودة لتناول ما قالوه، إما لتصويبه أو لتأكيده أو تظليله أو غير ذلك من الأغراض"[23].

23 – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص262 .

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والتكرار هو أن ترد القصة الواحدة مكررة في أكثر من موضع وقصة موسى خضعت لهذه الخاصية -التكرار- أكثر من غيرها، واستحوذت على قسم كبير من كتاب الله تعالى إذ كان الحديث على سيدنا موسى -عليه السلام- أكثر من غيره من الأنبياء، فقد وردت قصته في حوالي الثلاثين موضعا.

إلا أن التكرار الذي ورد في هذه القصة، لا يتناول القصة كلها، وإنما هو تكرار لبعض أجزائها، أو حلقاتها، حيث تصور الحادثة الواحدة بأشكال مختلفة، ويعبر عنها بعبارات متفاوتة، حسب الظروف والمناسبات. من هنا ظهر الاختلاف؛ لأن اختلاف المقاصد يدفع لا محالة إلى اختلاف الصور الأدبية، ويطلق على هذه الخاصية في الزمن السردي بعلاقات معدلات التكرار أو التواتر "FREQUENCE"؛ أي احتمالات تكرار الحكاية في القصة بأشكال مختلفة". ومع تعدد درجات الاختلاف بين الزمنين، وحرص النصوص الروائية الكلاسيكية على الإشارة لأوجه هذا التخالف، وصعوبة ضبط هذه العلاقات في نصوص الروايات الجديدة؛ فإن تحليل هذه الوجوه هو الوسيلة الوحيدة لتحديد بنية النص الزمنية، وطريقة قيامه بوظيفته السردية. فبدون تحليل هذه العلاقات الزمنية المتشابكة لا نتجاهل النص فحسب، بل نقتله كما يقول "جنيت"[24].

وتكرار القصة يقع بغير إخلال بالقيم الفنية، بل إنه يتضمن قيما فنية كامنة، ويبرز قيما فنية خافية، هذا إلى جانب عدم تكرار جسم القصة كله اللهم إلا نادرا وفي مقامات خاصة، إذ عندما يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة، ويتابع السياق الذي وردت فيه يجدها ملائمة لهذا السياق ويجدها منطقية وموحية بما يوحي به، وملتحمة بمعانيه تمام الالتحام، ودالة عليه، شيء تحسبه ظلا فإذا أمعنت النظر وجدت نفسك تمتلئ بتأثير جديد مدهش موح أعظم الإيحاء.

24 – المرجع نفسه ص31.

OУƏ ЖÆÇ O Ѿ OУƏ к Ă ЖЎ Ѿ Ə r OУЖe Ѿ OУƏ OУЖЎ к e O

على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة لهـــذه القصـــة —قصة موسى— فهي تبدأ أولا بإشارة مقتضبة ثم تطول هذه الإشارات شيئا فشيئا، ثم تستمر فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات، حتى إذا ما استوفت القصـــة حلقاتهـــا عادت هذه الإشارات، هي كل ما يعرض منها.[25]

وفيما يلي جداول مفصلة بالسور التي تحدثت عن موسى والجوانب التي اختصت بها كل سورة مع عرض للجوانب المكررة والجوانب التي ذكرت مرة واحدة.

الرقم	السورة	أرقام الآيات	الجوانب التي اختصت بها كل سـ رة
7	الأعراف	162،104،103	عرضت لجانبين: موسى مع فرعون موسى مع بني إسرائيل
20	طه	96...11،10،9	
26	الشعراء		ـ سود
27			ـ ـه وهو خبر الرسالة
			ـ فيها ثلاث جوانب: الميلاد، الرسالة، فرعون.
0		92...77،76،..	ذكر فيها خبر فرعون.
37	صافات	122...،115،114	تكريم وامتنان
40	غافر	55...،25،24،23	ذكر فيها نبأ فرعون
43	الزخرف	56...48،47،46	ذكر فيها نبأ فرعون.
44	الدخان	33...19،18،17	ذكر فيها نبأ فرعون.
18	الكهف	82...62،61،60	جانب خاص بالعبد الصالح.
21	الأنبياء	49، 48	المنن الإلهية
14	إبراهيم	8،7،6،5	خبره مع بني إسرائيل
	الأحزاب	69	" "" "

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

25— سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم دار الشروق بيروت ط8 سنة 1983 ص156.

25	الفرقان	36،35	خبره مع فرعون
79	النازعات	26،17،16،15	نبأ فرعون
2	البقرة	96،49،48،47	أنباء مع بني إسرائيل
5	المائدة	26،22،21،20	مع بني إسرائيل
23	المؤمنون	48،47،46،45	خبر موسى مع فرعون
61	الصف	5	خبره مع بني إسرائيل
17	الإسراء	103،102،101	موسى مع فرعون
4	النساء	156،155،154،153	خبره مع بني إسرائيل
19	مريم	53،52،51	جانب المنن الإلهية

الجوانب التي ذكرت مرة واحدة		
رقم السورة	السورة	أرقام الآيات
الميلاد وما يتصل به		
28	القصص	28.....4،3
نبأ موسى مع العبد الصالح		
18	الكهف	82....61،60
جانب المنن الإلهية		
37	الصافات	122.....115،114
21	الأنبياء	49 – 48

إشارات عن موسى في بعض السور		
رقم السورة	السورة	أرقام الآيات
73	المزمل	16 – 15
87	الأعلى	19 – 18
89	الفجر	13،12،11،10
50	ق	113

OуЭ ЖÆÇ О Ѿ OуЭ к Ă ЖӮ Ѿ Э ґ OуЖе Ѿ OуЭ OуЖӮ к е О ґ

54	القمر	41 – 42
38	ص	12

والملاحظة التي نسجلها عند دراستنا للتكرار في قصة موسى عليه السلام أن أسلوب القرآن يختلف في هذه القصة من موطن لآخر، فتارة يجيء أسلوبه في موطن عن طريق الإطناب، وفي مواطن أخرى عن طريق الإيجاز مع اختلاف الفواصل من مواطن لأخرى، ومع التنوع بالعبارات البليغة، والألفاظ العذبة، تتجلى بلاغته وفنونه الرفيعة في التعبير، إذ يستحيل على كاتب قصة بشري مهما كانت درجة كفاءته ونبوغه ككاتب أن يحكي لك نفس القصة ثلاث أو خمس أو قل عشر مرات، ويحتفظ بنفس قدرته ومستواه في المرات العشر، فلا بد أن يتزل أسلوبه ويهبط مستواه ولا بد أن يكر[illegible] فلا يمكن بذلك أن يأتي بجديد.

إن كل ما في هذه القصة [illegible] وقعت في تاريخ [illegible] مباشر بصلة، وهي الرؤ[illegible] الذي تحكي به، ثم تركيب هذا الأسلو[illegible] في فيها.

ولهذ[illegible] القصة تعرض مرارا وفي كل مرة يعطي الله سبحانه وتعالى تأثيرا معينا، ويملؤنا بإيحاء خاص يختلف عما سبق أن أعطاه لنا، وهذه من معجزات السرد القصصي في الكتابة لا تضاهيها أي كتابة.

وهنا نعرض صيغ القرآن في العنصر القصصي الواحد حين يختلف وصفه في الأقاصيص المختلفة التي تدور حول شخصية واحدة فيختلف بالتالي البناء والتركيب وطريقة العرض باختلاف القصد والغرض وظروف البيئة وتقلبات الزمن.

قال تعالى: "**وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى، قال ألقها يا موسى، فألقاها فاذا هي حية تسعى، قال**

خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى"[26]. "فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين"[27]. "وأن الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جآن ولى مدبرا ولم يعقب"[28].

عندما قال الله تعالى في الآية 34 من سورة الشعراء "ثعبان مبين، كان ذلك لموضوع آخر، ذلك أن الموقف يختلف عنه في الموقفين السابقين، فمسألة انقلاب العصا ثعبانا، كانت بمحضر من فرعون حينما طلب البينة من موسى ومسألة انقلابها حية واهتزازها كالجان كانت بين يدي الخالق سبحانه وتعالى، وحدثت حين رأى النار بعد أن سار بأهله.

إن الصورة التي يرسمها القرآن من سورة القصص صورة يبدو فيها الخوف من كل جانب، وهو خوف مفزع وقد كان اللفظ الذي يلائم هذا الخوف ويجعل موسى يفر هاربا خائفا فارا من الميدان، هو أن يحضر اللفظ في الذهن صورة لشيء مخيف مرعب ومن هنا جاء لفظ الجان، وهناك فرق شاسع بين الحية والجان*. فالأولى لا تدفع الإنسان إلى أن يفر هاربا بل الذي يدفع إلى ذلك حتما هو الجان. أما قصة طه فقد نزلت تسلية للنبي عليه السلام وتخفيفا عنه وإزالة ما بنفسه من هم وكرب وقلق، ومن هنا قال تعالى في أول سورة طه **"طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"** ولذا جاء عرض الأحداث في القصة عرضا لطيفا، لينا يبعث الطمأنينة والثقة في النفس ويدفع عنها الهم والحزن والقلق .

ولذا كان لفظ الحية أليق بالمقام، وقد قالت العرب قديما "لكل مقام مقال". فقد تجلى هذا المثل بأوضح صورة في قصة موسى وتكرار حلقاتها، حيث وجدت كل حلقة في المقام الذي يناسبها لا تنبو عنه، ولا تخرج عن المعنى العام للسورة. أما لفظ الثعبان المبين الذي جاء للدلالة على العصا في سورة الشعراء فالموقف كان موقف تحد وتجبر وطلب بينة، ومن هنا

---

26 – سورة طه الآية 67 .
27- سورة الشعراء الآية 34 .
28 – سورة القصص الآية 31.
* – الجان: صغار الحيات وهو سريع الحركة. الحية: تشمل الصغير والكبير من الحيات. الثعبان: وهو الثعبان الضخم فهي ثعبان وحية في ضخامتها وجان في خفة حركتها.

OÿØ ЖÆÇ O Ѿ OÿØ к Ă ЖӮ Ѿ Ə ґ OÿЖe Ѿ OÿØ OÿЖӮ к e O ⊧

كان لابد للعصا أن تتحول إلى ثعبان ولا بد للثعبان من أن يكون مبينا، ليسهل الإقناع والتصديق، بالإضافة إلى هذا اختلاف هناك اختلاف آخر في القصة تجدر الإشارة إليه.

تأمل لقاء موسى بكلمات ربه، تأمل موقفه أمام النار المقدسة في وادي طوى، يحكي الله هذه الحادثة أكثر من مرة يملؤه مرة بالخوف والرهبة والجلالة ويحكيه مرة أخرى فيملؤه بالحب والحنان والأمل، نفس القصة أبطالها هم موسى وعصاه، لم يحدث أي تغيير في الحوادث التاريخية ولا في الشخصيات والأبطال، كل ما حدث أن أسلوب العرض والتقديم الإلهي هو الذي أعطاك تأثيرا مختلفا، رغم أن الأبطال هم كما هم لم يتغير فيهم شيء ولم يزد عليهم شيء.

لكن الملاحظة التي يمكننا تسجيلها من هذين المثاليـ[illegible] موسى تكرار نسبي، إذ نلاحظ أن الغرض الدـ[illegible] في هذه الإعادة تلبس القصـ[illegible] ى بحاننا أمام قصة جـ[illegible]

هـ[illegible] ي حاولنا قدر المستطاع أن نلم أطرافه المتشعبة ـ[illegible] المرسوم، الذي لاحظنا من خلاله أن المنهج الفني لهذه القصة قدـ[illegible] حطيات نظرية للقصة؛ إذ عندما نمعن النظر في جمال هذا المنهج نجد فيه النموذج التام لكمال البناء الفني وتمام التلاحم والحبك القوي بين أجزاء القصة.

هذه القراءة الفنية لقصة موسى ـ عليه السلام ـ لا تتعارض مع كون القصة الكريمة قصة قرآنية حقيقية تهتم بإصلاح المجتمع وتربية الإنسان وإصلاح الفرد والحياة .

ذلكم هو القصص القرآني في حلاوته وطلاوته، في جماله وروعته، في عظاته ونفحاته، في أهدافه وغاياته، في مشاهده ومواقفه، نرجو أن يكون لنا فيه قبس يضيء لنا الطريق.

وتبقى في قصة موسى جوانب كثيرة تاريخية وجغرافية ونفسية واجتماعية وعسكرية لا يتسع لها المجال في هذا البحث.

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية